

قفا نيك

قفا نيك من ذكرى حبيبٍ ومَنْزِلِ بسِطِ اللوى بين الدَّخولِ وحومِلِ
فتوضَّحَ فالمِقْرَاةِ لم يَعْفُ رِسمُها لما نسجتها من جنوبٍ وشمالِ
ترى بَعَرَ الأرامِ في عَرَصاتها وقيعانها كأنه حَبُّ فُلْفُلِ
كأنى غداة البين يومَ تحملوا لدى سَمُرَاتِ الحَيِّ ناقِفِ حنظلِ
وقوفاً بها صَحْبِي عليَّ مَطِيهم يقولون لا تَهْلِكِ أَسَى وتَجَمَّلِ

وإنَّ شِفايَ عِبْرَةٌ إنَّ سَفَحَتُها وهل عند رَسْمِ دارِسٍ مِنْ مَعَوَّلِ

كدينك من أمِّ الحُوَيْرِثِ قبلها وجارتها أمُّ الرِّبابِ بمأسَلِ

ففاضتْ دموعُ العَيْنِ مني صِباةً على النحرِ حتى بَلَّ دَمْعِي مِحْمَلِي

ألا رَبِّ يَوْمٍ لك منهن صالحٍ ولا سِيِّمًا يَوْمٌ بدارَةَ جُلْجُلِ

ويومَ عقرتُ للعذارى مطيتي فيا عَجَبًا من رَحَلها المتحملِ

يظلُّ العذارى يَرْتَمِينِ بلحمها وشحم كَهْدَابِ الدِمَقْسِ المُقْتَلِ

ويومَ دخلتُ الحِدرَ خِدرَ عُنيزَةٍ فقالت لك الويلاتُ إنك مُرْجَلِي

تقول وقد مال الغبيطُ بنا معًا
فقلتُ لها سيري وأرخي زمامه
فمثلكِ حُبلى قد طرقتُ ومرضعًا
إذا ما بكى من خلفها انحرقتُ له
ويومًا على ظهر الكثيب تعذرت
أفاطم مهلاً بعض هذا التذلل
وإن كنتِ قد ساءتِ مني خليقةً
أغركِ مني أنَّ حُبَّكَ قاتلي
وما ذرفتُ عينك إلا لتقدحي
وبيضة خدر لا يُرام خباؤها
تجاوزتُ أحراسًا وأهوالَ معشرٍ
إذا ما الثريا في السماء تعرضتُ
فجئتُ وقد نضتُ لنومِ ثيابها
فقلتُ يمينَ الله ما لكِ حيلةٌ

عقرتُ بعيري يا امرأ القيس فانزل
ولا تُبعديني من جَنائكِ المعللِ
فألهيتهَا عن ذي تمامٍ مُغيلِ
بشقيّ وشقِيّ عندنا لم يُجولِ
عليّ وآلتُ حلفَةً لم تحللِ
وإن كنتِ قد أزمعتِ صرْمي فأجملي
فسلِّي ثيابي من ثيابكِ تنسلِ
وأنتِ مهما تأمري القلبَ يفعلِ
بسهميكِ في أعشارِ قلبِ مُقتلِ
تمتعتُ من لهوِها غيرَ مُعجلِ
عليّ حِراصٍ لو يُشرونَ مَقتلي
تعرَّضُ أثناءِ الوشاحِ المفصلِ
لدى السِّترِ إلا لبسةَ المتفضِّلِ
وما إن أرى عنك العماية تنجلي

خرجتُ بها تمشي تجرُّ وراءنا
فلما أجزنا ساحةً الحيِّ وانتحى
إذا التفتتُ نحوِي تَضَوَّعَ رِيحُهَا
إذا قلتُ هاتي تَوَلِّيني تمايلتُ
مهفهفةً بيضاء غيرَ مُفاضةٍ
كبكرٍ مُقناةٍ البياضِ بصفرةٍ
تصدُّ وتُبدي عن أسيلٍ وتتقي
وجيدٍ كجيدِ الريمِ ليس بفاحشٍ

وفرعٍ يُغشي المتن أسودَ فاحمٍ

غدائرهُ مستشزراتٌ إلى العلا

وكشحٍ لطيفٍ كالجديلِ مُخَصَّرٍ

وتعطُّو برخصٍ غيرِ ششٍّ كأنه

تُضيءُ الظلامَ بالعِشاءِ كأنها

وتُضحِي فتيتُ المسكِ فوق فراشها

على أثرينا ذيلَ مرطٍ مُرحَلِ
بنا بطنُ حِقْفِ ذي رُكامِ عقنقلِ
نسيمَ الصِّبا جاءت برِّيا القَرَنُقلِ
عليَّ هضيمَ الكشحِ رِيا المخلخلِ
ترائبها مصقولةٌ كالسجنجلِ
غذاها نَميرُ الماءِ غيرِ المحللِ
بناظرةٍ من وَحشٍ وَجرةٍ مُطفِلِ
إذا هي نَصَّته ولا بمُعطلِ

أثيث كقنو النخلة المتعشكِلِ

تَضِلُّ المَدَارِي فِي مُثْنِيٍّ وَمُرْسَلِ

وساقٍ كأنبوبِ السقيِّ المذللِ

أساريعُ ظنِّي أو مساويكُ إسحِلِ

مَنارةٌ مُمسي رَاهِبٍ متبَيِّلِ

نؤوم الضحى لم تنتطق عن تفضِّلِ

إلى مثلها يرئو الحليم صباةً

تسلت عميات الرجال عن الصبا

ألا ربّ خصم فيك ألوى رددته

وليل كموج البحر أرخى سدوله

فقلت له لما تمطى بجوزه

ألا أيها الليل الطويل ألا انجلي

فيا لك من ليل كأن نجومه

كأن الثريا علقت في مصامها

وقد اغتدي والطير في وكناتها

مكر مفر مقبل مدير معًا

كفيت يزل البلد عن حال منته

مسح إذا ما السابحات على الونى

على العقب جياش كأن اهتزامة

يطير الغلام الحف عن صهواته

إذا ما اسبكرت بين درع ومجول

وليس صباي عن هواها بمنسل

نصيح على تعذاله غير مؤتل

علي بأنواع الهموم لبتلي

وأردف أعجازًا وناء بكلكل

بصبح وما الإصباح فيك بأمثل

بكل مغار الفتل شدت يذبل

بأمراس كتان إلى صم جندل

بمنجرد قيد الأوابد هيكل

كجلمود صخر حطه السيل من عل

كما زلت الصفواء بالمتنزل

أثرن غبارًا بالكديد المركل

إذا جاش فيه حميه غلي مرجل

ويلوي بأثواب العنيف المثقل

دَرِيرٌ كُخْدَرُوفِ الْوَلِيدِ أَمْرُهُ تَقَلَّبُ كَفَيْهِ بِخَيْطٍ مُوَصَّلِ
له أَيُّطَلَا ظَبِي وَسَاقَا نَعَامَةٍ وَإِرْخَاءِ سِرْحَانٍ وَتَقْرِيْبٍ تَتَفَلِّ 
كَأَنَّ عَلَى الْكَتْفَيْنِ مِنْهُ إِذَا انْتَحَى مَدَاكَ عُرُوسٍ أَوْ صَرَايَةٍ حَنْظَلِ 
وَبَاتَ عَلَيْهِ سَرَجُهُ وَلِجَامُهُ وَبَاتَ بَعِيْنِي قَائِمًا غَيْرَ مُرْسَلِ
فَعَنَّ لَنَا سِرْبٌ كَأَنَّ نِعَاجَهُ عَذَارَى دَوَارٍ فِي الْمَلَاءِ الْمُدَّيْلِ
فَأَدْبَرَ كَالْجَزَعِ  الْمَفْصَلِ  بَيْنَهُ  فِي الْعَشِيْرَةِ  مُخْوَلِ 
فَأَلْحَقْنَا بِالْهَادِيَاتِ  وَدُونَهُ  جَوَاحِرُهَا  فِي صَرَّةٍ لَمْ تَزَيْلِ 
فَعَادَى  عِدَاءً بَيْنَ ثَوْرٍ وَنَعْجَةٍ  دِرَاكًا  وَلَمْ يُنْضَخْ بِمَاءٍ فَيُغْسَلِ
وَبَاتَ طَهَاءُ اللَّحْمِ مِنْ بَيْنِ مُنْضَجٍ صَفِيْفٍ شَوَاءٍ أَوْ قَدِيْرٍ  مُعْجَلِ
وَرُحْنَا وَرَاحَ الطَّرْفُ يَنْفُضُ رَأْسَهُ مَتَى مَا تَرَقَّ الْعَيْنُ فِيهِ تَسَهَّلِ
كَأَنَّ دِمَاءَ الْهَادِيَاتِ بَنَحْرِهِ عُصَارَةٌ حِنَاءٍ بِشَيْبٍ مُرْجَلِ
وَأَنْتَ إِذَا اسْتَدْبَرْتَهُ سَدَّ فَرْجَهُ بَضَافٍ فَوْيْقَ الْأَرْضِ لَيْسَ بِأَعْزَلِ 
أَحَارٍ تَرَى بَرْقًا كَأَنَّ وَمِيْضَهُ كَلْمَعِ الْيَدِيْنِ فِي حَبِيٍّ مُكَلَّلِ
يُضِيءُ سَنَاهُ أَوْ مَصَابِيْحُ رَاهِبٍ أَهَانَ السَّلِيْطِ فِي الدُّبَالِ الْمُقْتَلِ

قعدتُ له وصُحبتِي بين حامرٍ
وأضحى يسُحُّ الماءَ عن كل فيقةٍ
وتيماء لم يترك بها جذع نخلةٍ
كانَّ طميَّةَ المُجيمِرِ غُدوةً
وبين إكامٍ بُعدَ ما مُتأملٍ
يكُبُّ على الأذقان دَوْحَ الكنهبِلِ
ولا أطمًا إلا مشيدًا بجندلٍ
من السيل والغُثاءِ فلكةٍ مِغزَلٍ

كانَّ أبانًا في أفانين ودقه
كبير أناس في بجاد مزمَلٍ

وألقى بصحراء الغبيطِ بعاةً
كانَّ سباعًا فيه عَرَقِي غُدِيَّةً
على قطنٍ بالشِّمِ أيمن صوبه
وألقى ببُسيانٍ مع الليل بَرَكةً
نزولَ اليماني ذي العيابِ المَخُولِ
بأرجائه القُصوى أنابيش عُصَلِ
وأيسره على السِّتار فيذبُلِ
فأنزل منه العُصمَ من كل منزلٍ